

روح المعاني

وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب ظلّما خبر مبتدأ محذوف أي هي ظلّما بعضها فوق بعض أي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قورة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده . وأجاز الحوفي أن يكون ظلّما مبتدأ خبره قوله تعالى بعضها فوق بعض وتعقبه أبو حيان وتبعه ابن هشام بأن الظاهر أنه لا يجوز لما فيه من الإبتداء بالنكرة من غير مسوغ إلا أن يقدر صفة لها يؤذن بها التنوين أي ظلّما ماثرة أو عظيمة وهو تكلف وأجاز أيضا أن يكون بعضها بدلا من ظلّما وتعقب بأنه لا يجوز من جهة المعنى لأن المراد والـ تعالى أعلم الإخبار بأنها ظلّما وأن بعض تلك الظلمات فوق بعض أي هي ظلّما متراكمة لا الإخبار بأن بعض ظلّما فوق بعض من غير إخبار بأن تلك الظلمات السابقة متراكمة وقرأ قنبل ظلّما بالجر على أنه بدل من ظلّما الأولى لا تأكيد لها وجملة بعضها فوق بعض في موضع الصفة له وقرأ البزي سحاب ظلّما بإضافة سحاب إلى ظلّما وهذه الإضافة كالإضافة في لجين الماء أو لبيان أن ذلك السحاب ليس سحاب مطر ورحمة .

وإذا أخرج أي من ابتلى بها وإضماره من غير ذكر لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة وكذا تقدير ضمير يرجع إلى ظلّما واحتيج إليه لأن جملة إذا أخرج الخ في موضع الصفة لظلّما ولا بد لها من رابط ولا يتعين ما أشرنا إليه وقيل : ضمير الفاعل عائد على اسم الفاعل المفهوم من الفعل على حد لا يشرب الخمر وهو مؤمن أي إذا أخرج المخرج فيها يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينيه لينظر إليها لم يكذبها أي لم يقرب من رؤيتها وهي أقرب شيء إليه فضلا عن أن يراها وزعم ابن الأنباري زيادة يكذب وزعم الفراء والمبرد أن المعنى لم يرها إلا بعد الجهد فإنه قد جرى العرف أن يقال : ما كاد يفعل ولم يكذب يفعل في فعل قد فعل بجهد مع استبعاد فعله وعليه جاء قوله تعالى فذبوها وما كادوا يفعلون ومن هنا خطأ ابن شبرمة ذا الرمة بقوله : إذا غير النأي المحبين لم يكذب رسيس الهوى من حب مية يبرح وناداه يا أبا غيلان أراه قد برح فكذلك وسلم له ذو الرمة ذلك فغير لم يكذب ولم يكن أو لم أجد والتحقيق أن الذي يقتضيه لم يكذب وما كاد يفعل أن الفعل لم يكن من أصله ولا قارب في الظن أن يكون ولا يشك في هذا .

وقد علم أن كاد موضوعة لشدة قرب الفعل من الوقوع ومشارفته فمحال أن يوجب نفيه وجود الفعل لأنه يؤدي إلى أن يكون ما قارب كذلك فالنظر إلى أنه إذا لم يكن المعنى على أن تمت حالا يبعد معها أن تكون ثم تغيرت كما في قوله تعالى فذبوها الخ يلتزم الظاهر ويجعل

المعنى أن الفعل لم يقارب أن يكون فضلا عن أن يكون والآية على ذلك وكذا البيت وقد ذكر أن لم يكد فيهما جواب إذا فيكون مستقبلا وإذا قلت : إذا خرجت لم أخرج فقد نفيت خروجاً في المستقبل فاستحال أن يكون المعنى فيهما على أن الفعل قد كان .

وهذا التحقيق خلاصة ما حقق الشيخ في دلائل الإعجاز ومنه يعلم تخطئة من زعم أن كاد نفيها إثبات وإثباتها نفي .

وفي الحواشي الشهابية أن نفي كاد على التحقيق المذكور أبلغ من نفي الفعل الداخلة عليه لأن نفي مقاربه